Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حقيقة عندما نقول: إن النحو نشأ فى البيئة الأولى للفلسفة الاسلامية، فانعكس أثرها عليه منذ البداية، يقول الأستاذ عباس حسن، وهو يذكر حرصَ النحاةِ على التعليل: «وكلُّ واحدٍ من هؤلاء ـ فى الغالب ـ آخذ بنصيب من الفلسفة والجدل المنطقى الشائع أيام تدوين النحو(١)»، وقد زاد هذا الأثر مع تقدم الزمن وانتشار الثقافة وإقبال العرب على دراسة الفلسفة.

وأما عن طبيعة اللغة وأثرها فى الفكر اللغوى، فهو أن اللغة لم تصل إلى أيدى اللغويين إلا بعد أن خطت مراحل فى طريق التقدم والرقى، وبعد أن عبَّرت عن العقل الانسانى فترةً طويلة من الزمن، وقد عَبرّ عن هذا التقدم والرقى الخليل بن أحمد عندما شبّه اللغة بدار محكمة البناء، عجيبة النظم والأقسام(٢)، ومن ثم أخذ يبحث عن أسرار هذه اللغة كمن يبحث عن الحكمة فى رسم هذه الدار ونظمها، فعدُم وقوف رجالِ اللغة على تاريخها والأطوار التى مَرّت بها، وذهاب وثائقها هو الذى نحا بهم إلى هذا الفكر النظرى لعلهم يتلمسون أسرارها، ويقفون على شىء من تاريخها، ولم يكن هذا مقصوراً على اللغويين العرب، بل سبقهم إلى مثل هذا فلاسفةُ اليونان عندما قالوا بالعلاقة بين اللفظ والمعنى، بيد أنه مما زاد اعتزازَ رُوَّادنا بلغتهم، أنها لغةُ كتابهم الكريم، وحسبك به من نظم، ومن ثم نراهم وقد أداموا العكوف عليها، وأكثروا الاصغاء إليها باحثين ومُنقِّبين عن أسرارها، فالتمسوا لكل ظاهرة من ظواهر اللغة ـ وهى كثيرة ـ سبباً ووجها، وهكذا اقترن تقديسُهم للغة بشيوع الجدل والفلسفة، لتكون العلةُ.

ولايستطيع أحد أن يغمِط لغويينا حقهم، فقد بذلوا خالص الجهد فى تسجيل اللغة العربية، والتعرف على ظواهرها، وكان لهم من النظريات اللغوية ماتفخر به

---

(١) اللغة والنحو بين القديم والحديث ١٣٣.

(٢) الايضاح فى علل النحو للزجاجى ٦٦.